**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأثره في حياة الأمة**

**د. عصام عبد ربه مشاحيت**

**دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية**

لا يخفى على كل ذي لُب أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومكانته في الشريعة الإسلامية، قال تعالى: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (سورة آل عمران: 104).

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- : “إن موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر موضوع عظيم، جدير بالعناية؛ لأن في تحقيقه مصلحة الأمة ونجاتها، وفي إهماله الخطر العظيم والفساد الكبير، واختفاء الفضائل وظهور الرذائل، وقد أوضح الله – جلا وعلا – في كتابه العظيم منزلته في الإسلام، وبين سبحانه أن منزلته عظيمة، حتى إنه سبحانه في بعض الآيات قدمه على الإيمان، الذي هو أصل الدين وأساس الإسلام، كما في قوله تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} (سورة آل عمران: 110). ولا نعلم السر في هذا التقديم، إلا عظم شأن هذا الواجب، وما يترتب عليه من المصالح العظيمة العامة، ولا سيما في هذا العصر، فإن حاجة المسلمين وضرورتهم إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شديدة؛ لظهور المعاصي، وانتشار الشرك والبدع في غالب المعمورة، وقد كان المسلمون في عهده -صلى الله عليه وسلم- وعهد أصحابه وفي عهد السلف الصالح يعظمون هذا الواجب، ويقومون به خير قيام، فالضرورة إليه بعد ذلك أشد وأعظم، لكثرة وقلة العلم وغفلة الكثير من الناس عن هذا الواجب العظيم وفي عصرنا هذا صار الأمر أشد، والخطر أعظم، لانتشار الشرور والفساد، وكثرة دعاة الباطل، وقلة دعاة الخير في غالب البلاد كما تقدم، ومن أجل هذا أمر الله سبحانه وتعالى به، ورغب فيه، وقدمه في آية آل عمران على الإيمان، وهي قوله سبحانه وتعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}، يعني أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، فهي خير الأمم وأفضلها عند الله، كما في الحديث الصحيح، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال [أَنْتُمْ تُوَفُّونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرَهَا وَأَكْرَمَهَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ] (أخرجه أحمد في مسنده (19513) ، والترمذي (2927)، وقال هذا حديث حسن).(مجلة البحوث الإسلامية، العدد 28 ص: 6).

وقد اختار الله تعالى أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- للقيام بهذه المهمة الكبرى، ووصفهم بأرقى وأعظم وصف يؤهلهم للقيام بهذه المهمة الكبرى، قال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} (سورة آل عمران:110.(

فخيرية هذه الأمة مرتبطة ارتباطا وثيقا بمحافظتها على ما وصفت به، وبقيامها بما كُلِّفت به من الله تعالى، وقد أنذر الله تعالى الذين تخلوا عن هذا الأمر كليا أو جزئيا قال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ” (سورة المائدة : 78 ، 79 )، وبشر الملتزمين به والقائمين عليه، قال تعالى: ” فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} (سورة الأعراف: 165(

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو شريعة من الشرائع التي أوجبها الله على الأمم كلها، وما ذاك إلا لعظيم شأنه وأهميته في الحفاظ على المجتمعات من الانحرافات العقدية والفكرية والأخلاقية.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات النبي -صلى الله عليه وسلم-  التي وصف بها في الكتب المتقدمة، قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (سورة الأعراف : 157.(

والقارئ لسيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- يجدها عامرة بالاحتساب في شتى المجالات، سواء في الاعتقاد أو العبادات أو المعاملات أو الآداب أو الأخلاق، وغيرها الكثير، فحريٌّ بكل مسلم أن يقتدي به صلى الله عليه وسلم.

وقد رغب الصحابة – رضي الله عنهم -، والتابعون من بعدهم على أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن ذلك على سبيل الذكر لا الحصر:

ذكر ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} (البقرة: 83)، قال: [الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر} (تفسير ابن أبي حاتم : 1/161. (

قال حذيفة -رضي الله عنه-: [الإسلام ثمانية أسهم: الصلاة سهم ، والزكاة سهم، والصوم سهم، والحج سهم، والعمرة سهم، والجهاد سهم، والأمر بالمعروف سهم، والنهي عن المنكر سهم، وقد خاب من لا سهم له في الإسلام] (أخرجه ابن أبي شيبة (19561)، وعبد الرزاق (5011(

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها)  (الاستقامة 2/226)

قال ابن القيم -رحمه الله-: (ومن تأمل أحوال الرسل مع أممهم: وجدهم كانوا قائمين بالإنكار عليهم أشد القيام . حتى لقوا الله تعالى، وأوصوا من آمن بهم بالإنكار على من خالفهم وأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أن المتخلص من مقامات الإنكار الثلاثة ليس معه من الإيمان حبَّة خردل، وبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أشد المبالغة، حتى قال: إن الناس إذا تركوه: أوشك أن يعمهم بعقاب من عنده، وأخبر أن تركه: يوقع المخالفة بين القلوب والوجوه، ويُحِلُّ لعنة الله، كما لعن الله بني إسرائيل على تركه} (مدارج السالكين (1/ 199)

قال الإمام الشوكاني -رحمه الله-: (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها ويرتفع سنامها) (الفصل في الملل والأهواء والنحل 4/132.)

ولما سُئل سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله- في أحد دروسه- عن حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال -رحمه الله-: “ما في خلاف بين أهل العلم أنه فرض كفايةٍ، ولكنه واجبٌ على المسلم، إذا لم يقم غيره بهذا الواجب تعيَّن عليه، فإذا كنتَ مثلًا في حيٍّ من الأحياء، أو مجتمع من الاجتماعات، فرأيتُ منكرًا: رأيت إنسانًا رفع كأس الخمر ليشرب، فسبقك واحدٌ وأنكره، فأراق صاحبُ الكأس خمره وامتثل وقال: جزاك الله خيرًا، هل بقي لإنكارك محلٌّ أنت؟ ما عاد بقي له محله، زال المنكر، أو تمشي أنت وصاحبٌ لك، فرأى إنسانًا واقفًا بعد الأذان، فسبقك وقال: يا أخي، اتَّقِ الله، الصلاة، الصلاة، فمشى وذهب إلى المسجد، فماذا بقي لإنكارك أنت؟ هل حصل المطلوب أو ما حصل المطلوب؟

فمَن قال: إنه فرض عينٍ، مراده فرض عينٍ عند عدم وجود مَن أنكر، وأما إذا أنكر زال المحذور، فهو فرض كفايةٍ، معناه: إذا قام به مَن يكفي سقط عن الباقين، فإذا ما قام به وجب عليك: أنتم ثلاثة مررتُم على منكرٍ، ما أنكر الاثنان اللَّذان تظنّهما أفضل منك مثلًا أو أقوى منك؛ تعيَّن عليك، فإذا أنكر أحدُهما لم يتعين على الباقي إذا زال المحذور وحصل المقصود، أما إذا ما زال المحذور يُنكر الثاني والثالث والرابع والخامس حتى يزول المحذور.

فمَن قال: إنه فرضٌ على كل مسلمٍ، يعني: فرض على كل مسلمٍ عند عدم وجود مَن قام بالواجب هذا، هذا مُراده، فلا معارضة.

ومما ينبغي أن يتحلى به الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ما يلي:

1- العلم: فالعلم شرط أساسي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيجب على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون عالما بما يأمر به، وينهى عنه، ولا يعنى هذا ألا يأمر إلا العلماء، وطلبة العلم، المهم النهي عن المنكر باعتبار أنه منكر، أو الأمر بالمعروف على أنه معروف، حتى نكون على بصيرة، قال تعالى: {قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (سورة يوسف: 108)، أي: على علم وهدى.

قال ابن حزم -رحمه الله-: “لا يجوز أن يدعو إلى الخير إلا من علمه، ولا يمكن أن يأمر بالمعروف إلا من عرفه، ولا يقدر على إنكار المنكر إلا من يميزه” (الإحكام في أصول الأحكام 18/317)

ولابد أن نعلم أن هذا العلم يجب أن يكون مستمدا من كتاب الله، وسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

2-     الحلم: وهو الأناة والتعقل، وهو ضبط النفس عن هيجان الغضب.

فالواجب على الآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، أن يتحلى بخلق الحلم، حتى لا يثور ويغضب عندما يجابه بشيء لا يرضيه؛ فيفسد أكثر مما يصلح، فلابد للداعية إلى الله الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر أن يروض نفسه أن تكون حليمة، فإنه لا بد أن يحصل له أذى؛ فلابد أن يتحمل ويصبر ويعلم أن هذا العمل لله جلا وعلا.

3-     الصبر: لا شك أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يحتاج إلى الصبر في أمره ونهيه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: “من أَمر ولم يصبر، أو صبر ولم يأمر، أو لم يأمر ولم يصبر حصل من هذه الأقسام الثلاثة مفسدة، وإنما الصلاح في أن يأمر ويصبر” المستدرك من الفتاوى (1/206).

فلا بد للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون صبورا على الأذى؛ فإنه لا بد أن يحصل له أذى، فإن المشقة في عبادة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تنفك عنها غالبا، فإن لم يصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

فالصبر على أذى الخلق عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن لم يُستعمل؛ لزم أحد أمرين: إما تعطيل الأمر والنهي، وإما حصول فتنة ومفسدة أعظم من مفسدة ترك الأمر والنهي أو مثلها أو قريب منها، وكلاهما معصية وفساد. (مستفاد من كتاب الاستقامة لشيخ الإسلام ابن تيمية بتصرف 2/231).

4-     الرفق: يجب أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر رفيقا بما يأمر، رفيقا بما ينهى، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: “الرفق سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر” (مجموع الفتاوى 18/136).

وقد وقفت على كلام نفيس لشيخنا فضيلة الشيخ ابن عثيمين في شرحه لكتاب رياض الصالحين حيث قال -رحمه الله-: “ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون رفيقا بأمره في نهيه؛ لأنه إذا كان رفيقا أعطاه الله سبحانه وتعالى ما لا يعطي على العنف، كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: “إن الله يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف”.

ثم إنه ينبغي للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يقصد بذلك إصلاح الخلق وإقامة شرع الله، لا أن يقصد الانتقام من العاصي، أو الانتصار لنفسه، فإنه إذا نوى هذه النية لم ينزل الله البركة في أمره ولا نهيه؛ بل يكون كالطبيب يريد معالجة الناس ودفع البلاء عنهم، فينوي بأمره ونهيه أولا: إقامة شرع الله، وثانيا: إصلاح عباد الله، حتى يكون مصلحا وصالحا” ( شرح رياض الصالحين بتصرف 2/405، والحديث أخرجه مسلم 2593)

وهناك أيضا الحكمة والقدوة الحسنة وقد تكلمت عنهما في مقال سابق عندما تحدثت عن أساليب الدعوة إلى الله وأهمية معرفة الداعية لها.

ومما ينبغي معرفته أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له مراتب بينها النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله: “من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان” (أخرجه مسلم)

فمراتب وجوب إنكار المنكر كما بينها النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث: الإنكار باليد -الإنكار باللسان- الإنكار بالقلب.

فمن يستطيع إنكار المنكر بيده، وأنكره باللسان ولم يستعمل اليد يكون آثما، أما إذا لم يقدر على استعمال اليد وأنكر باللسان فذاك واجبه، وقد قضى ما عليه وبرئت ذمته.

وقد ذكر ابن القيم -رحمه الله- جانبا آخر من مراتب إنكار المنكر حيث قال:

المرتبة الأولى: أن يغلب على ظنك أنك إذا أنكرت هذا المنكر أن يحل محله معروف.

المرتبة الثانية: أن يغلب على ظنك أنك إذا أنكرت المنكر أن يخف هذا المنكر.

المرتبة الثالثة: أن يتساويا، أي بمعنى أنه قد يترك المنكر الذي واقع فيه، لكن ينتقل إلى منكر يساويه.

المرتبة الرابعة: أن ينتقل من منكر إلى ما هو أشد وأنكى منه.

يقول ابن القيم -رحمه الله-: أما الأولان فمشروعان: يعني إذا كان إنكار المنكر يؤدي إلى إحلال معروف، أو يخف المنكر فهذا لا يختلف عليه.

وأما الثالثة إذا تساويا: يعني إذا خرج من كبيرة أنكرتها عليه، ذهب وارتكب كبيرة مشابهة لها. فيقول -رحمه الله-: “أما هذا فمحل اجتهاد ” بمعنى أن الإنسان يجتهد إن رأى المصلحة في الإنكار عليه أنكر، وإن رأى المصلحة في تركه فليتركه.

وأما الرابعة وهي الخطرة: وقد قال: “إذا رأيت من هو على منكر وأنكرت عليه وترك ما هو فيه لذهب وارتكب لما هو أشد منه”.

وقال -رحمه الله-: “فلو أن رجلا كان مغرما بقراءة كتب الجنس والروايات والغرام ومنهمكا في هذا الأمر، وعنده رغبة في القراءة والاطلاع، لكنك إذا أنكرت عليه وترك هذا المنكر لانتقل إلى كتب الابتداع أو الالحاد؛ أيهما أشد ضررا. يقول: نتركه على كتب الجنس الصادر عن مرض الشهوة. لئلا ينتقل إلى كتب الابتداع والإلحاد الصادر عن مرض الشبهة”.

ومعلوم أن مرض الشبهة أشد وأنكى من مرض الشهوة، فيقول رحمه الله: “مثل هذا دعه لا تنقله من سوء إلى ما هو أشد منه”.(إعلام الموقعين 3/16)

ولا شك أيها القارئ الكريم أن الأمة لو تركت واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لغرقت بأكملها في وحل المعاصي، وأصابها ما أصابها من العقوبات لما ثبت من حديث حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: “والَّذي نفسي بيدِه لتأمُرُنَّ بالمعروفِ ولتنهَوُنَّ عن المنكرِ أو ليوشِكَنَّ اللهُ يبعثُ عليكم عذابًا منه ثمَّ تدعونه فلا يستجيبُ لكم”. (صحيح الترمذي للألباني: 2169)

وثبت من حديث أم المؤمنين زينب بنت جحش -رضي الله عنها- أنَّ النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يقولُ: “لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، ويْلٌ لِلْعَرَبِ مِن شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليومَ مِن رَدْمِ يَأْجُوجَ، ومأْجُوجَ مِثْلُ هذا، وحَلَّقَ بإصْبَعِهِ، وبِالَّتي تَلِيهَا فَقَالَتْ زَيْنَبُ فَقُلتُ يا رَسولَ اللَّهِ أنَهْلِكُ وفينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ إذَا كَثُرَ الخَبَثُ.” (صحيح البخاري: 3598).

وعن النُّعْمانِ بنِ بَشيرٍ رضي اللَّه عنهما، عن النبيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: “مَثَلُ القَائِمِ في حُدودِ اللَّه، والْوَاقِعِ فِيهَا كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سفينةٍ، فصارَ بعضُهم أعلاهَا، وبعضُهم أسفلَها، وكانَ الذينَ في أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الماءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا في نَصيبِنا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا. فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرادُوا هَلكُوا جَمِيعًا، وإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِم نَجَوْا ونَجَوْا جَمِيعًا” (أخرجه البخاري 2493.)

فالأمة لا تحفظ بحفظ الله، إلا إذا كان فيها من يقوم على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولن يكون ذلك إلا بحرص الجميع على هذه الشعيرة الهامة، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – هو سفينة المجتمع التي تحميه من الغرق، وتأخذ بيده إلى شاطئ النجاة، ولا صلاح ولا فلاح لأمة الإسلام، إلا إذا تمسكت بهذه الشعيرة العظيمة؛ يقول الله -تعالى-: “وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ “(آل عمران:104).

أسأل الله بمنِّه وكرمه أن يحفظ علينا ديننا وأمننا، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.